البُعد الفكري للإرهاب التأويل أنموذجاً
"دراسة تحليلية"

إعداد

أ.د. حسن حميد عبيد غرباوي

Prof. Hassan Obaid Humaid Gharbawi

العدد
الخامس
عشر
٢٠١٧

Research Summary

I thought I touch upon in this study the concept of interpretation and analytical vision, it represents a dimension and the keystone of terrorism in all its forms, and thus adapted to other than legitimate humanitarian lofty purposes, to influence the minds of naive and fascination with the people of the passions perverted owners and try to mislead them to achieve their goals and objectives Alhedmah, through the distortion of religious text Crown necks texts Ttoie to their aims and terrorist ends.

الملخص:

إرتأيت أن أتناول في هذه الدراسة مفهوم التأويل برؤية تحليلية، كونه يمثل بُعداً ومنطلقاً أساسياً للإرهاب بأشكاله المختلفة، وبالتالي تكييفه بخلاف مقاصده الشرعية الإنسانية السامية، للتأثير على أصحاب العقول الساذجة وافتتان أهل الأهواء المنحرفة ومحاولة تضليلهم بما يحقق أهدافهم وغاياتهم الهدمية، من خلال تحريف النص الديني ولي أعناق النصوص تطويعاً لمآربهم وغاياتهم الإرهابية.

العدد
الخامس
عشر
٢٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا شك أن الحديث عن ظاهرة الإرهاب وتجلياتها لا يكون في غياب الحديث عن ظروف تكوينها وعوامل نشأتها، ومن دون ربطها بأبعادها المختلفة، وبخاصة البعد الفكري بتشعباته المتعددة، ومنها التأويل. ولذلك دأبت الجماعات الإرهابية بمختلف انتماءاتها على برمجة مؤيديها بطريقتها وتأويلاتها الخاصة، وتبعاً لذلك فإن كل الأعمال الإرهابية التي عانى منها المجتمع الإنساني عبر العصور تتكئ على آراء وأبعاد فكرية ذات طبيعة دينية أو فلسفية مستنبطة وفق تأويلات معينة، تحمل المؤمنين بها على ركوب الصعاب واستسهالها، بل وتجعلهم يتذوقون كل مراراتها متعة مهما استهجنها غيرهم واستقبحها.

كما أن جرائم الجماعات الإرهابية من قتل وتشريد، وهتك للأعراض، دون تمييز بين الركع والرضع، وأولات الأحمال، يسوغها مرتكبوها بتأويلات وتضليلات خطيرة، حتى تنتفي عنها ما يجعلها محل تأنيب الضمير من الذين ينفذونها أنفسهم، كما كانت تفعل الفلسفة النازية، والماركسية، والصهيونية حالياً في تعبئة أفرادها.

لذلك فإن السياق التاريخي الذي نشأت فيه هذه الجماعات الإرهابية وتكونت تكشف عن تجلياتها، وهي تجليات ارتبطت أساساً بأبعاد متعددة، وبخاصة البعد الفكري في مجال التأويل.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتبين أن الإرهاب بأشكاله المتباينة لابد له من فكر تسويغي وتسويقي في آن واحد، وقد كان التأويل المنحرف للنصوص والأفكار ومقاصدها واحداً من أهم المنطلقات والأبعاد الفكرية لذلك الفكر الإرهابي.

وتتضح أهمية هذه الدراسة من حيث أنها تبيّن التلازم بين الفكر المنحرف، وما يترتب عليه من إرهاب فكري عنفي في تأصيله، وتدميري في مواجهاته، لا يرضى بغير التكفير والتفجير بديلاً في تغيير ما يراه ميلاً عن الحق والعدالة. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن الدراسة تبيّن ما يؤكد أن الإرهاب وليد انحراف فكري ناتج عن قصور في الفهم، وخلل في التفكير، يعمل على تأسيس قناعات مسبقة، ثم يضع الناس بعد ذلك بين خيار قبوله، ليعيشوا أطهاراً مؤمنين كما يتصورهم، وبين أن يموتوا كفاراً مرتدين مأواهم النار وبئس المصير، إن لم يذعنوا من غير أن يكون لهم حق الرد والمناقشة لما يسمعون ويقرأون.

ومن المعلوم فإن الإرهاب لم يكن وليد الصدفة، وإنما كانت له أسبابه ودوافعه، وبنظرة تتبعية استقرائية نجد أن هناك أسباب كثيرة ومتداخلة، وذات أبعاد مختلفة تظافرت لتشكل هذه الظاهرة المركبة والمعقدة. ونتيجة لذلك تعددت التفسيرات والنظريات، التي تحاول اكتشاف الأسباب أو الجذور الحقيقية للأزمات والمشاكل الكبرى التي يعاني الواقع العربي والإسلامي والعالمي، وتعدد واختلاف هذه التفسيرات، يرجع الى البنية أو البيئة الأيديولوجية.

وبناء على ما تقدم إرتأيت أن أتناول في هذه الدراسة مفهوم التأويل برؤية تحليلية، كونه يمثل بُعداً ومنطلقاً أساسياً للإرهاب بأشكاله المختلفة، وبالتالي تكييفه بخلاف مقاصده الشرعية الإنسانية السامية، للتأثير على أصحاب العقول الساذجة وافتتان أهل الأهواء المنحرفة ومحاولة تضليلهم بما يحقق أهدافهم وغاياتهم الهدمية، من خلال تحريف النص الديني ولي أعناق النصوص تطويعاً لمآربهم وغاياتهم الإرهابية.

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي اتبعته في الدراسة فقد تمثل بالمنهج الاستقرائي والتاريخي والتحليلي

خطة البحث:

اشتملت الدراسة على مبحثين:

المبحث الأول: الإرهاب والتأويل: المفهوم والدلالة.

المبحث الثاني: أثر التأويل في المنطلقات الفكرية للإرهاب.

المبحث الأول

الإرهاب والتأويل: المفهوم والدلالة:

أولاً: مفهوم الإرهاب لغة واصطلاحاً:

إن الناظر في المعاجم العربية، والقواميس اللغوية، يجد أنها خلت من كلمة (إرهاب)، والتعريف بها وفق المفهوم المعاصر.

ومصطلح (الإرهاب) هو ترجمة حرفية لمصطلح فرنسي (Terrorisme) التي استحدثت أثناء الثورة الفرنسية، وهي ترجمة حرفية أيضا للكلمة الإنجليزية (Terrorism)، ويعتقد أن الترجمة الصحيحة للمصطلح الأجنبي هي كلمة (إرعاب، وإخافة شديدة) وليس (إرهاب)[1].

والناظر في تراثنا الفكري، والعقدي والسياسي، والفقهي، يجد أن هذا التراث قد خلا أيضاً من التعرض لذكر أي تعريف معتبر لهذا المصطلح، بل أن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تجاوزت صياغة أي تعريف منضبط له، وقد وردت مادة (رهب) ومشتقاتها، فيما يقرب من ثماني آيات من القرآن، وهذه الآيات الكريمة لا يؤخذ من أي منها على أدنى تحديد لمصطلح الإرهاب لمصطلح الإرهاب وفق المفهوم المعاصر، إذ نجد أن هناك معان متعددة، وفق السياقات التي جاءت في تلك الآيات المباركات، تختلف من آية لأخرى، غالباً تدل على معان عظيمة مرغوب فيها.

أما كتب التراث القديمة، فإنها لم تعن بذكر تعريف محدد لهذا المصطلح الذي لم يكن له حضور عند الأقدمين من الفقهاء والمفسرين وغيرهم، كما لم يفرد له باب بعينه، مما يجعلنا نقرر بأن هذا المصطلح لم يحظ بتعريف من لدن العلماء القدامى، وربما يكون السبب انصرافهم الى الحديث عن المصطلحات المشابهة لهن كالغلو، والتشدد، وقطع الطريق، والحرابة، وما الى ذلك من الألفاظ ذات

---

[1] التعريف بالإرهاب وأشكاله: د. عبد الرحمن رشدي الهواري، بحث مقدم الى ندوة الإرهاب والعولمة، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ط١، ١٤٢٣هـ، ص١٩، ندوة الإرهاب والعولمة.

الصلة. وما نجده في هذا العصر من تعريفات لمصطلح الإرهاب، فهي لا تخلو عن كونها اجتهادات معاصرة من لدن بعض العلماء والمفكرين المعاصرين الذين أفتوا بتحريمه، وأنه من الجرائم التي يعاقب عليها الإسلام.

ونذكر شيئاً مما ورد في كتب اللغة عن هذه الكلمة، فقد قيل: رهب، أي: خاف، وبابه: طرب. ورجل رهبوت، بفتح الهاء، أي: مرهوب. ويقال: رهبوت خير من رحموت. أي لأن تُرهب خير من أن ترحم، وأرهبه، واسترهبه: أخافه. والراهب: المتعبد، ومصدره الرهبة، والرهبانية بفتح الراء فيهما. والترهب: التعبد[١].

والارهابيون-في المعجم الوسط-: وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب، لتحقيق أهدافهم السياسية[٢].

ومن المهم عند ترجمة أي مصطلح عن لغة أجنبية أن يستوعب المصطلح الأجنبي استيعاباً تاماً، ويأسف المرء حين يرى بعض المصطلحات المتعلقة بدين الأمة وحضارتها تولد من خارج الأمة، وتصدر لها عبر وسائل الاعلام والقنوات العالمية، والصحافة الموجهة إن لم يكن من طريق إدارات تدير الصراع الأممي والحضاري وتوجهه.

إن المصطلحات الدينية والفكرية يحتاج الأمر فيها الرجوع إلى الأصول الدينية والفكرية لمعرفة معنى المصطلح، كما يحتاج إلى معرفة التأريخ الديني، وتاريخ استعمال المصطلح وتطوره؛ للخروج بمعرفة المراد بدقة؛ إذ السياق الزمني يحدده فهو يوضح عين المراد، ورؤية عين المراد أدق درجات فهم الخطاب.

---

[١] ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، طبع مكتبة لبنان، بيروت ١٤١٥هـ، ١/١٠٩.

[٢] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، مجمع اللغة العربية، مادة رهب، مادة رهب، طبع دار الدعوة، إستانبول، بلا سنة طبع، ١/٣٧٦.

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح (الإرهاب) نشأ في الغرب في القرن السابع عشر للدلالة على حكم إرهابي أعدم خلاله أكثر من سبعة عشر ألفاً.

ثم لا يزال هذا المصطلح ينتشر بحسب وجود الأحداث وطبيعتها ولا أظن أن وقتاً كثر ترديد المصطلح فيه كهذه الفترة الزمنية التي نعيشها، فقد أصبح هذا المصطلح مصطلحاً عالمياً، بل صار معياراً للتفريق بين الدول والهيئات.

ومع ذلك فليس ثم مصطلح أُختلف فيه قدر الاختلاف في تحديد معنى هذا المصطلح، وأضحى استخدام مصطلح (الإرهاب) نوعاً من الإرهاب الفكري والمادي، وبعد استقراء عشرات التعريفات لجهات رسمية وعلمية في أنحاء العالم، يلاحظ من خلال هذا الحشد لتعريفات (الإرهاب) الملاحظ الآتية:

١- إن المفهوم غامض غير محدد.

٢- شدة التباين في تحديد معنى المصطلح.

٣- تعدد التعريفات.

٤- أن التعريفات نسبية وحمّالة وجوه.

٥- افتقاد المعيار.

٦- عدم وفاء اللفظة للمعاني الداخلة فيها.

ثانياً: مفهوم التأويل لغة واصطلاحاً:

لابد ونحن في بداية البحث والتي يتركز على التأويل وفلسفته في البعد الفكري للإرهاب، وتتبع هذا اللفظ في مراحل تطور دلالته من كونه لفظ لا يحمل دلالات اصطلاحية الى كلمة اصطلاحية ذات بعد معرفي لها استعمالاتها الخاصة سواء استندت الى أصل لغوي أو لم تستند، ولذلك سأتطرق بإيجاز الى بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للتأويل.

أ-التأويل لغة: ورد التأويل في معاجم اللغة على عدة معانٍ تركز بمجملها على التفسير والرجوع، ففي لسان العرب: " التأويل فهو تفعيل من أَوَّل يؤوِّل تأويلاً... والتأويل والمعنى والتفسير واحد... يقال أُلْتُ الشيء أَؤُوله إذا جمعته وأصلحته، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه... والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[١].

وقال الأزهري: "آل يؤول، أي: رجع وعاد. ألت الشيء جمعته وأصلحته، فكأن التأويل جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه"[٢].

وقال ابن فارس: " آل يؤول أولاً: رجع. وآل العسل وغيره إذا خثر. والتأويل: هو انتهاء الشيء ومصيره وعاقبته وآخره"[٣].

وقال الراغب: " التأويل من الأول، أي الرجوع الى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع اليه، وذلك هو رد الشيء الى الغاية المراد منه علماً كان أو فعلاً"[٤].

---

[١] لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت. ٣٣/١١.

[٢] تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق، محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت ٣٢٩/١٥.

[٣] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩م ١٥٩/١-١٦٠.

[٤] المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عيتاني، دار المعرفة، ط١، بيروت، ص٤٠.

وفي القاموس المحيط: " وأول الكلام تأويلاً وتأوله، دبره وقدره وفسره"[١].

وأما مختار الصحاح فحدّد التأويل بمعنى الرجوع بقوله:" التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء"[٢].

كما أن الجرجاني حدد التأويل بمعنى الترجيع فقال: " التأويل في الأصل الترجيع"[٣].

نلاحظ مما سبق أن علماء اللغة حددوا الجانب اللغوي للتأويل وبينوا أنه بمعنى التفسير والبيان أو الرجوع والمصير أو التدبير والتقدير.

ب- التأويل اصطلاحاً:

اختلف العلماء حول تعريف التأويل إلى منهجين هما منهج السلف ومنهج المتكلمين.

ج-التأويل في كلام السلف:

يقرر الإمام ابن تيمية أن التأويل عند السلف على معنيين:

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير متقاربان أو مترادفان.

---

[١] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م، ٣/ ٣٣١.

[٢] مختار الصحاح: الرازي، محمد، دار الكتب العلمية –بيروت. ص٣٣

[٣] التعريفات: الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت. ١٤٠٥هـ. ص٧٢.

الثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن الكلام إن كان طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به[١]. كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" يتأول القرآن[٢].

والفارق بين المعنيين هو أن المعنى الأول يكون فيه التأويل من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح، أما المعنى الثاني فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج.

د-التأويل عند المتكلمين:

قال الماتريدي: " التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع "[٣].

عرفه الإمام الغزالي بقوله: " التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفاً للفظ عن الحقيقة إلى المجاز "[٤].

وعرفه الإمام الرازي بالقول: " والتأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر "[٥].

---

[١] الإكليل في المتشابه والتأويل" ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ١٣/٢٨٨، ٢٨٩.جمع عبد الرحمن بن قاسم، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤١٦هـ.

[٢] أخرجه البخاري في الأذان باب التسبيح والدعاء في السجود، حديث رقم ٨١٧، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود حديث رقم ٤٨٤.

[٣] تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، تحقيق إبراهيم عوضين والسيد عوضين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١/٢٤.

[٤] المستصفى: الغزالي، أبو حامد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ، ١/١٩٦، وللمزيد ينظر فضائح الباطنية، الطبعة الأولى، دار البشير-عمان، الأردن، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م. ص٣٠، وص٥٠.

[٥] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: الرازي، فخر الدين: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ٣/٢٣٢.

وذكر ابن تيمية تعريف المتكلمين بالقول: " هو صرف اللفظ من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به"[١].

كما عرفه الجرجاني في تعريفاته بالقول: " صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة"[٢].

ومن الملاحظ في تعريف الجرجاني أنه وضع ضابط للتأويل هو موافقة الكتاب السنة.

هـ-موقف علماء السلف من تأويل المتكلمين:

للسلف موقف واضح من التأويل وهو أنه إذا وافق الكتاب والسنة قبلوه، وأما إذا خالف الكتاب والسنة رفضوه.

يقول الإمام ابن القيم: " فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الصحيح وغيره هو الفاسد "[٣].

ويقول شارح الطحاوية: " فالتأويل الصحيح منه الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد "[٤].

---

[١] مجموع الفتاوى: ابن تيمية، أحمد، الطبعة الأولى، دار الإفتاء، الرياض، ١٣٩٨هـ. ٢٨٨/١٣.

[٢] التعريفات: الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت. ١٤٠٥هـ، ص٧٢.

[٣] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم الجوزية: ١٤/١.طبعة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والرياض.

[٤] شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، ص٣٣٥.

فمراد السلف ترك التأويل الذي هو التحريف والتعطيل، وليس المراد ترك كل ما يُسمى تأويلاً، بل المراد ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة المخالفة لمذهب السلف التي يدل الكتاب والسنة على فسادها"[١].

ولكن لماذا وقف علماء السلف من تأويل المتكلمين هذا الموقف المعارض؟ يجيب على ذلك شارح الطحاوية بالقول: " فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا نحن نتأول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف تأويلاً تزييناً له ليقبل ، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً (الأنعام: ١١٢) والعبرة للمعاني لا للألفاظ فكم من باطل أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق "[٢].

ويقول الإمام الأشعري:" فإن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأوّلوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين "[٣].

لقد كان للتأويل الفاسد المخالف للكتاب والسنة الدور الكبير في افتراق الأمة الإسلامية على ثلاث وسبعين فرقة؛ لأن من أراد أن يتأول نصوص القرآن والسنة عن مواضعها ويحرفها يجد إلى ذلك سبيلا " وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية؟"[٤].

وترد الجماعات الاسلامية على الاعتراضات التي تذكرهم بالآيات القرآنية الكثيرة التي تتحدث عن "الصفح" و "العفو" و "الاعراض" و "عدم الإكراه" بأنها نسخت بآية السيف "فاقتلوا

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية: مصدر سابق ص٢٣٢.

[٢] شرح العقيدة الطحاوية: مصدر سابق ص٢٣٢.

[٣] الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، أبو الحسن علي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ص١٣.

[٤] شرح العقيدة الطحاوية: مصدر سابق ص٢٠٤.

المشركين حيث وجدتموهم"، ويعيبون على الإمام السيوطي (١٤٤٥-١٥٠٥م) أنه رفض القول بنسخ تلك الآيات، ويرون فيه تعطيلاً لسنتي الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

و-التأويل في الاستعمال الحديث:

بما أن دلالة مصطلح التأويل في الاستعمال التراثي قد خضعت لمجموعة من المعايير التي ساعدت في تشكيل دلالته على اختلاف في استعماله بين الاتجاه السلفي والاتجاه الكلامي، فإن مصطلح التأويل حديثاً أخذ يتطور تطوراً دلالياً أيضاً، فلم يكن بالصرامة اللغوية التي يتمتع بها سابقاً، بل تحول التأويل من كونه مصطلحاً متداولاً في مباحث النصوص الدينية ليصبح علماً مستقلاً بذاته إذا صح التعبير يبحث في آليات الفهم، بعد أن تعدى مرحلة النصوص الدينية أو الحقول الإنسانية كالتاريخ والفلسفة والنقد الادبي والأنثروبولوجي[١] **وغيرها.**

وتطور مدلول مصطلح التأويل في المفهوم الحديث حتى تحول الى نظرية عامة في الفهم، واستخدمت هذه النظرية في الغرب تحت مصطلح " الهرمينوطيقا" للدلالة على نظرية التأويل، والتي تعني " المبحث الخاص بدراسة عمليات الفهم وبخاصة فيما يتعلق بتأويل النصوص"[٢].

ويعرف الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الهرمينوطيقا-وهو من المتأخرين الذين اهتموا بهذه النظرية-بأنها" نشاط فكري يقوم على أساس تفكيك رموز المعنى المختفي في المعنى الظاهر والكشف عن مستوى الدلالات الضمنية في الدلالات الضمنية في الدلالات اللفظية"[٣].

---

[١] الإنثربو لوجيا بالمعنى الفلسفي هي الفرع الذي يهتم بعلم الانسان وجعله محور البحث الفلسفي فيما يتعلق به من جوانب فكرية ومعرفية وجوانب عمليّة أو نفسية. ينظر موسوعة الفلسفة: عبد الرحمن بدوي ١/ ٢٣٠، وموسوعة لا لاند الفلسفية ١/ ٧٤، المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية ص٢٤. وينظر أيضاً: الإنثربولوجيا: بحوث ودراسات تطبيقية ص١٥.

[٢] فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون الى جادامر ص١٢، وينظر الهرمينوطيقا عند جادامر ص٧.

[٣] نيتشة هيدجر وآخرون: الهرمينوطيقا المعاصرة ص١٢٤، نقلاً عن الهرمينوطيقا وعلم التفسير، محمد بهرامي، مجلة الحياة الطيبة، العدد ٨، ص٣٧.

والملاحظ في آلية نظرية التأويل الحديثة أنها انتقلت من بيان المعنى الى بيان طريقة الفهم وطريقة استخراج المعنى، حيث بدأ حضور القارئ على حساب حضور النص، وإن كان التنظير في النظرية الإعلاء من شأن النص إلا أن المُمارس عكس ذلك تماماً.

وفي الخطاب العربي المعاصر تُتداول نظرية التأويل الحديثة تحت مصطلح الهرمينوطيقا أو القراءة أو المقاربة او التفكيك وغيرها من مصطلحات ما بعد الحداثة[١]، بيد ان مصطلح التأويل أكثرها حضوراً، ولعل ما يبرر ذلك-وخصوصاً في قراءة النص الشرعي-ان مصطلح التأويل مصطلح قرآني متداول في مباحث التفسير وعلوم القرآن مما يخفف الشحنة الاستنكارية لمتلقي مخرجات نظرية التأويل الحديثة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن نظرية التأويل الحديثة هي في الحقيقة هجين جمعي غير متناسق من الفلسفات الأوربية كالماركسية والفرويدية والنيتشوية والوجودية وغيرها، وقد أشار جياني فاتيمو[٢] الى :" أن كل العناوين الفلسفية الراهنة تنخرط تحت الهرمينوطيقا (نظرية التأويل) بما في ذلك التفكيك"[٣].

ومن العرض السابق يتبيّن ان المقصود بنظرية التأويل الحديثة يختلف اختلافاً جذرياً عن مصطلح التأويل في كتب التراث، من حيث الدلالة، ومن حيث الآليات، وإن كانتا تتقاطعان في بعض المضامين المنهجية في القليل النادر، حيث يغلب على المصطلح التراثي للتأويل التأطير المنهجي، بينما تتفلت النظرية الحديثة للتأويل من الأطر المنهجية.

---

[١] مصطلح ما بعد الحداثة أطلق في أوائل السبعينيات، والبعض يؤيد أنه ارتبط بالتفكيكية التي نادى بها الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، التي اهتمت بعدم استقرار كل أشكال الخطاب وشحوب كل المسلمات الثقافية التقليدية. ينظر: قضايا في نقد العقل الدينين محمد أركون ص٣٠٧.

[٢] جياني فاتيمو فيلسوف إيطالي ولد عام ١٩٣٦م في إيطاليا، متخصص في فلسفة نيتشه وهايدغر، ويعد من نقاد فكر ما بعد الحداثة.

[٣] ينظر: فيما وراء التأويل دلالة الهرمينوطيقا بالنسبة الى الفلسفة، نقلاً عن: تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، ممد شوقي الزين ص١٧.

ومن الجدير بالذكر أن التأويل نشأ في بدايته نشأة دينية مدرسية في حضن اللاهوت وبين جدران الكنيسة، ارتباطاً بإشكالية فهم دلالات الكتاب المقدس، وفهم الفاظه وما كانت تشير اليه في القديم أثناء تجسدها الأرضي من معانٍ متباينة وأبعاد رمزية وميتافيزيقية غامضة، وذلك انطلاقاً من الاعتقاد المطلق (بوجود معنى خفي وراء هذا المعنى السطحي الظاهر) للخطاب الديني[١].

فكان من نتائج ذلك بعدئذٍ ظهور أرثوذكسية[٢] مسيحية سلطوية، تبّنت هذا الضرب من التأويل وفرضته على المؤولين في مختلف المنعطفات التاريخية بين يديه ولا من خلفه، الأمر الذي نتج عنه تراجع العقل الغربي وانحداره ودخوله في منعطف من التخلف والجهل والفساد الكنسي الذي أدخل أوربا في عصر (الظلمات)[٣].

وهكذا فإنه لم تختلف نشأة التأويل في الفكر الإسلامي –الذي ظل ملتبساً بمفهوم آخر هو التفسير–عن نشأته الدينية في الفكر الغربي، حيث نشأ مرتبطاً ببيان معاني الوحي الغامضة واستنباط احكامه الشرعية، وبالخلاف حول المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني، والصفات الإلهية والجدل الكلامي المرتبط بالطبيعة الانطولوجية للوحي ..وغيرها من القضايا الدينية الأخرى المتعلقة بالوجود الروحي والمادي المحمولة في الأنساق اللغوية الرمزية للخطاب الديني المكوِّن، والتي تحتاج في–عملية تحولها من القول الى العمل– الى تفسير وتأويل لفهمها وادراكها والامتثال لها حيث نتج عن هذه الخلافات منذ القدم الى الآن ظهور مجموعة من الاتجاهات والتيارات

---

[١] في مفهومي القراءة والتأويل: محمد متقن، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٣، ص٢٥.

[٢] الأرثوذكسية: كما عرفها محمد أركون، هي النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما أو لاتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتباره ضلالاً وهرطقة. ينظر محمد أركون: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط٢، بيروت ١٩٩٥م، ص ٩–١٠.

[٣] الخطاب الديني والتحولات الإبستمولوجية لفعل التأويل في الفكر المسيحي والإسلامي: عبد اللطيف البدادي، مؤسسة مؤمنون بلاحدود للدراسات والأبحاث، ص٣.

الفكرية التي ادعى كل منها امتلاكه للآليات والاستراتيجيات الصحيحة والمستقيمة لتأويل النص الديني، ومن ثم بسط السيطرة على المؤسسة الدينية وعلى حقولها الخطابية وسوق خيراتها الرمزية[١].

وقد تحول هذا الصراع التأويلي الغني من حيث توجهه ورؤيته وتمثلاته في الفكر الإسلامي بعدئذ من تأويل ديني وعقلاني يهدف الى فهم أسرار الخطاب الديني المكوِّن وتدبر معانيه وإدراك مقاصده الخطابية المحققة لسعادة المؤمن الهادية والروحية، الى تأويل إيديولوجي يخدم مصلحة الطبقة المهيمنة التي جعلت منه آلية من آليات مواجهة خصومها في حقل الصراع الخطابي حول السلطة وحول سوق الخيرات الرمزية والتأثير في المجتمع، بما يؤدي الى تأويل مضامين الخطاب الديني على ضوء توجهاتها وتمثلاتها الإيديولوجية والنفعية[٢].

---

[١] الخطاب الديني والتحولات الإبستمولوجية لفعل التأويل في الفكر المسيحي والإسلامي: عبد اللطيف البدادي، مصدر سابق ص٤-٥.

[٢] الخطاب الديني والتحولات الإبستمولوجية لفعل التأويل في الفكر المسيحي والإسلامي: عبد اللطيف البدادي: مصدر سابق ص٥، وينظر، (فلسفة التأويل) دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي: حامد أبو زيد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣م، ص١١.

المبحث الثاني: أثر التأويل في المنطلقات الفكرية للإرهاب:

إن العلم بحقائق الأشياء، والوعي بالمفاهيم يُعد مدخلاً رئيسًا لتضييق دائرة الخلاف أو إزالته، إذ تجد جذور الخلاف عائدة في كثير من الأحوال إلى اختلاف المفاهيم، أو الجهل بحقائق الأمور، وهذا أمر متفق عليه بين الأمم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعانٍ مشتبهة[١].

ولذلك عني العلماء بالألفاظ الشرعية، والمصطلحات الإسلامية اهتمامًا بالغًا، وحرصوا على تحديدها لأمور أهمها:

١-أن لا تكون هذه الألفاظ والمصطلحات نسبية غير محررة يستخدمها كل فريق كما يحلو له بناء على ما تدفعهم إليه الأهواء، وما تمليه عليهم العقائد الفاسدة، والمذاهب الضالة.

٢-أن لا تحمل الألفاظ الشرعية على الاصطلاح الحادث لقوم أو فئة، فكثير من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في النصوص الشرعية، أو في كلام أهل العلم، فيظن أن مرادهم بها نظير مراد قومه، ويكون مراد الشارع خلاف ذلك.

(فإن كثيراً من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ، ثم يجد تلك الألفاظ في كلام الله أو رسوله أو الصحابة، فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله، ورسوله، والصحابة خلاف ذلك)[٢].

---

[١] مجموع الفتاوى: ابن تيمية، مصدر سابق ١٢/ ١١٤.

[٢] مجموع الفتاوى: ابن تيمية، مصدر سابق ١٢/ ٥٥١-٥٥٢.

لقد أصبحت المصطلحات أدوات في الصراع الحضاري والفكري بين الأمم، وفي داخل الأمة الواحدة، إذ يهتم أعداء أي مبدأ أو فكر في صراعهم مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات، وحين يكون القوم يعادون الحق فإنهم يُحرّفون الألفاظ والمعاني، ويغيّبون القول الحقَّ فيها.

وإنّما كان المصطلح أداة في الصراع لأنه الوعاء المعبر عن العقيدة، أو الفكر، أو الرأي، ولذلك فإن كسر ذلك الوعاء غرض رئيس للمعادين يمثل خطورة كبرى على العقائد، أو الآراء أو الأفكار لأي أمة، وبهذا كان الحفاظ على مصطلحات الأمة من جهة، ومحاربة مصطلحات الأمم المعادية من جهة أخرى ركنين أصيلين في عملية الصراع.

إن استخدام أعداء المبادئ للمصطلحات في تبرير العنف والإرهاب يقوم على جلب الألفاظ والمصطلحات التي هي أعلام على معان سيئة، وإسقاطها على العقيدة أو الفكر أو المذهب أو الرأي الذي يعادونه؛ لتنفير الناس من ذلك الاعتقاد أو المذهب أو الرأي أو مما يتضمنه من الحق، وفي المقابل أخذ الألفاظ السليمة والصالحة، وجعلها أعلامًا على ما ينفر منه أصحاب الفكرة المعادية، ليسهل دخول أفكارهم وعقائدهم دون حصول النفرة والكراهة.

وممن حورب بهذا الرسل -عليهم الصلاة والسلام -: (فأشدُّ ما حاول أعداء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من التنفير عنه سوء التعبير عما جاء به، وضرب الأمثال القبيحة له، والتعبير عن تلك المعاني التي لا أحسن منها بألفاظ منكرة ألقوها في مسامع المغترين المخدوعين فوصلت إلى قلوبهم فنفرت منه، وهذا شأن كل مبطل)[1].

ولو نظرت في قصص الأنبياء لوجدتهم وصموا بالجنون والسفاهة والضلال، وذلك كلُّه لتضليل الناس، وتبغيض هؤلاء الرسل إليهم.

[1] مختصر الصواعق المرسلة: ابن القيم، مصدر سابق ٣/ ٩٤٤.

وهكذا لو نظرت في التأريخ الإسلامي، لوجدت الألفاظ الشرعية تصيبها الغُربة، حيث كانت غُربة الدين، ولا تكاد تجد على مرّ العصور مثل غُربة الحقائق والألفاظ الشرعية في هذا العصر، خاصة مع المد الإعلامي المكثف الذي يُراد منه صياغة العقل العالمي ليكون على رأي الأقوى.

ولكن مهما أوّلت الألفاظ وحُسّنت العبارات فلن تغيّر من الحقائق شيئاً.

قال ابن القيم رحمه الله: (ولو أوجب تبديل الأسماء والصور تبدّل الأحكام والحقائق لفسدت الديانات، وبُدّلت الشرائع، واضمحل الإسلام، وأي شيء نَفَع المشركين تسميتُهم أصنامهم آلهة وليس فيها شيء من صفات الإلهية وحقيقتها)[1].

وفي الجملة فثمَّ تلازم بين هذين المحورين، إذ إن التلبيس على الناس قائم على تشويه الحق، وتحسين الباطل، وهما متقابلان، فما من مشوه للحق إلاّ وهو محتاج لتحسين ضده.

لذا فإن كل هذه الملابسات جعلت إمكانات التلاعب بالألفاظ، واتخاذها وسيلة للتضليل بدل أن تكون وسيلة للإبانة والتوضيح واسعة جداً، وأدى ذلك الى نزاعات وخصومات كثيرة، بل وربما قامت فرق ومذاهب تنحو نحواً خاصاً في فهم النصوص، وتحمل الألفاظ من المعاني ماتأباه طاقاتها المُعترف بها عند جماهير اللاغين بها، ويمكن أن نستخلص من كل هذا أن اللغة تُعدّ مرتعاً خصباً للخروج من الموضوعية من خلال تحريف الدلالة، أو تجاهل ظروف النص التي قيل بها، وغير ذلك.

---

[1] إعلام الموقعين: ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٧٤هـ. ١٩٥٥م. ٣/ ١٣٠.

ولو نظرنا في كتب التفسير لوقفنا على مئات الأقوال التي تشير الى تعسف أصحابها وخروجهم عن الموضوعية في تفسير النص القرآني، والذهاب به بعيداً عن أسباب نزوله، وعن أوضاع المخاطبين، وعن النصوص الأخرى التي تتحدث عن الموضوع نفسه.

وهكذا لو نظرت في التأريخ الإسلامي، لوجدت الألفاظ الشرعية تصيبها الغُربة، حيث كانت غُربة الدين، ولا تكاد تجد على مرّ العصور مثل غُربة الحقائق والألفاظ الشرعية في هذا العصر، خاصة مع المد الإعلامي المكثف الذي يُراد منه صياغة العقل العالمي ليكون على رأي الأقوى[١].

ولا شك في أن الغلو الفكري أحد المسببات الرئيسة للإرهاب وخصوصًا الغلو المتصف بالدين فإن هذا النوع من الغلو يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة في التفاصيل والجزئيات فضلاً عن الكليات والثوابت التي لا يختلف فيها خصوصًا لأتباع الدين الواحد، وتبعًا لهذا الادعاء فإن أصحاب هذا النوع من الآراء يحاولون دائمًا إقصاء الآخر والآخر هنا يعني كل من يخالفهم في الرأي ولو جزئيًّا، وللإقصاء عدة مظاهر أقلها نسبة الضلال للآخر وأكثرها نسبة الكفر والشرك له.

وبناء على ذلك فإن هذا الفكر الاقصائي يحاول إلغاء الآخر تمامًا ومحوه إما بضمه إلى خطه إن استطاع أو بتصفيته وإنهائه من الوجود، ويتوسل إلى هدفه بكل وسيلة حتى ولو كانت هي الإرهاب والعنف، لكنه لا يسمي ذلك عنفًا أو إرهابًا أو تطرفًا بل يغلفه باسم الجهاد، ويعد أتباعه من الشباب والجهلة بأن ما يقومون به من اغتيالات وتخريب للممتلكات وإزهاق للأنفس عين الصواب بل هو الطريق إلى الجنة وهو الجهاد المأمور به من الله عز وجل.

---

[١] فصول في التفكير الموضوعي "منطلقات ومواقف": د. عبد الكريم البكار، ط٧، دار القلم، دمشق ٢٠١٣م، ص٢٦١.

وإذا ما انحرف الفكر، وخالف عقيدة المجتمع، وناقض ثوابت الأمة، فقد وقع البلاء، وعمت الفوضى، وظهر الفساد، فالفكر المنحرف يستهدف قيم واخلاق المجتمع في الصميم، وله تأثير مدمر إن تمكّن من بلوغ أهدافه، وتزداد خطورة الانحراف الفكري، وتعظم آثاره المدمرة إذا تُرجم ذلك الانحراف الى أفعال يقوم بها الفرد، أو سلوك ينتهجه مُتمثل في الظلم والاعتداء والإفساد في الأرض.

من كل هذا وغيره يتضح أن الدين الإسلامي لا علاقة له بالتطرف والعنف والإرهاب- وذلك بمفهومه الخاص-لا من قريب ولا من بعيد فهو دين التسامح الذي ينبذ التطرف والغلو ويدعو إلى الوسطية والسلام.

إنه من التجني على الإسلام والمسلمين نسبة الإرهاب إليهم بسبب دينهم فهناك الكثير من العصابات الإرهابية في الزمن الحاضر وعبر العصور القديمة التي مارست أشد الفتك وأعنفه وعاثت في الأرض فسادًا ولم تعرف شيئًا عن الإسلام لا اسمًا ولا رسمًا ولم تتصل بجماعة إسلامية، فجماعة الألوية الحمراء الإيطالية والجيش الأحمر الياباني وحركة القوميين الباسك والجيش الجمهوري الأيرلندي ونمور التاميل في سيرلانكا وبادرماينهوف في ألمانيا والطلبة من أجل مجتمع ديمقراطي والنمور السود في أمريكا وغيرها من المنظمات الإرهابية كلها مارست العنف والإرهاب والابتزاز ولم يربطها أحد بأي دين، وهذا هو المطلوب لأن الأديان - كل الأديان - تدعو إلى الخير وتنهى عن الشر وإن اختلفت في ذلك نسبيًّا أو نوعيًّا.

والإسلام يأتي في المقدمة فهو الدين الخاتم الصالح لكل زمان ومكان.

فعلينا إذًا الرجوع إلى تراثنا الإسلامي لنستخرج منه حاجاتنا من النصوص المربية للنفس الإنسانية على الحب والوئام والرحمة والألفة والعدالة واحترام حقوق الناس ونضمنها خطابنا الديني لنرى كيف يتغير الحال ويعود السلام إلى الأرض كما يعود الإسلام إلى سيادته وعزه[١].

ثمة حقيقة مفادها أن الإرهاب ليس اختراعاً عربياً أو إسلامياً، بل هو سلوك قديم، لادين له ولا وطن، تتباين تعريفاته والنظرة اليه، حيث ينظر اليه البعض على أنه عمل نضالي مباح، وفي عيون آخرين، على أنه عمل إجرامي مُحرّم. وهكذا يحتدم النقاش وسيبقى محل جدل، واختلاف بحسب المصالح والغايات، والعلاقات بين الدول والحضارات، وستظل محاولات التصدي للإرهاب تتعثر تحت وطأة اصطدام التفاسير، والمصالح بين الدول، حتى ترسو المجتمعات الدولية على قواعد واضحة يجري تطبيقها على كافة أعضاء المجتمع الإنساني، وهو أمر لا يبدو من السهولة تحقيقه في المستقبل القريب، وإن كانت هناك بوادر صحوة حقيقية تجاه الإحساس بخطورة الإرهاب، وما يخلفه من مآسي، وما يحدثه من تصدع في البناء الاجتماعي، وتردي في برامج التنمية على جميع الصعد[٢].

ومن المعلوم أن نظام اللغة في إطار مبحث الوجوه هو النظام الذي يتبناه الفكر.

---

[١] لمحات عن الإرهاب في العصر الحاضر: فهد بن إبراهيم أبو العصاري، موقع حملة السكينة، المدينة المنورة، ص١٠-١٥ بتصرف. وينظر: الانحراف الفكري وانقسام الأمة: محمد عبد اللطيف، ٢٠١٣م، ص٤-٥ بتصرف.

[٢] الإرهاب، الفهم المفروض للإرهاب المرفوض: د. علي بن فايز الجحني، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٥-٦.

مما يعني ان ممارسة الانسان للغة هي ممارسة للفكر، فتحليل اللغة في الواقع يُطلعنا على حقيقة النظام الفكري عند الانسان، وإن عملية تحريف اللغة عن فقهها الذي تناوله القرآن تحت عنوان التأويل هو تحريف وتزييف لفكر الانسان المسلم[١].

ولذلك فإن الفهم الخاطئ لنصوص الدين ولغاياته ومقاصده يُفضي الى الجنوح للغلو والتشدد في الدين.

وبذلك فإن عملية تأويل الخطاب الديني ونمذجته نمذجة قائمة على نزعة اختزالية، وعلى مبدأ الانغلاق والتعصب واللاتسامح أسهم في نشر المد التكفيري، وبالتالي الى ظهر الإرهاب والعنف.

وقد دأبت الجماعات الإرهابية من خلال تأويلاتها البعيدة للخطاب الديني والنصوص الدينية الى استقطاب شاب بريء وإدماجه ضمن منظومة من القيم التي تؤلف أيديولوجيا خطابها، وتجعله يقتنع بسهولة وهو أمام التلفاز أو الكمبيوتر بالكون الثقافي لهذا الخطاب.

وإن هذه الجماعات وبهكذا أسلوب تستغل انتاجات الحداثة العلمية والتقنية لتستهدف العمق الأيديولوجي للمنظور الحداثي، وبالتالي رفض كل المفاهيم الحديثة حول الدولة ومسألة

---

[١] الإرهاب بين الفرض والرفض في ميزان الإسلام: الفرماوي عبد الحي، ط١، دار البشير، طنطا، ١٤١٩هـ،١٩٩٩م، ص١٦، وينظر، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف "دراسة تحليلية": د. أسماء بنت عبد العزيز الحسين ص١٢ وما بعدها.

تداول السلطة، وحق المجموعات في المشاركة في الحكم بصرف النظر عن دينها أو جنسها، وتكريس الحقوق السياسية والإنسانية في الحرية والعدالة والمساواة أما القانون[١].

وإن خطورة المتطرفين دينياً تكمن في اعتقادهم الراسخ في أنهم هم وحدهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، وأن الله تعالى أوكل إليهم مهمة الدفاع عنها، وأن ما سواهم محكوم عليه باتباع أسلوبهم في الحياة، وإلاّ فإنهم سيدرجون ضمن الأعداء الذين يتوجب القضاء عليهم.

وللوصول الى الإيقاع بضحاياهم، فانهم (يعتمدون على مجموعة من الخدع وتتمثل في الإحاطة بكل تفاصيل حياة هؤلاء الضحايا النفسية والاجتماعية والمهنية والثقافية التي تكشف وضعهم وانتماءاتهم الطبقية)[٢].

فضلاً عن توظيف هذه الجماعات لآليات وتقنيات وأشكال بلاغية تتلبس بلبوس ديني، وأنها تعتمد منطق إقصاء كل تأويل ديني آخر من طرف أي جماعة دينية أخرى، وهذا منبت العنف ومنشأه في هكذا تصورات، كما أنها تتمسك بأفكار الماضي وتعده المقياس الذي يجب ان يقوم عليه الحاضر فكراً وممارسة مع تغييب كل مظاهر التحول الزمني.

والملاحظ إن هذا التوصيف لآليات اشتغال خطاب هذه الجماعات تم استشفافه بناءً على المقاربة السيميائية لهذا الخطاب، وهي المقاربة التي لا تقتصر على استنباط الدلالة من التحليل المجرد للمعجم الأصولي وحقوله الدلالية، ولكنها تعتمد منهج الاستقراء عبر الملاحظة المنهجية للواقع الاجتماعي.

---

[١] سيميائيات الأصولية الدينية: خطاباتها، بلاغتها، وقوتها الإقناعية: ترجمة وتقديم عبد الله بريمي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م، عمان-الأردن، ص١١.

[٢] سيميائيات الأصولية الدينية: خطاباتها، بلاغتها، وقوتها الإقناعية: ماسيمو ليوني، مصدر سابق ص١٤.

إن هذه المقاربة هي التي تسعف السيميائي في اقتراح قراءة للآليات الإقناعية التي كانت وراء استقطاب بعض الشباب وغوايتهم وجذبهم الى المخاطرة بحياتهم باسم الجهاد، والتي لا يمكن أن تتأتى، إلاّ بامتلاك الزعيم، زعيم الجماعة المتطرفة، لآليات إقناعية تتحقق بفعل إلمامه بالعديد من الجوانب النفسية والاجتماعية والمهنية لهذه الفئة المستخدمة.

والزعيم أيضاً يقدم منهجه في شكل أسلوب حياة (إن هذا الخطاب يمتلك قوة إقناعية في التعبير عن نفسه دون كلل، مثلما هو الحال بالنسبة للخطاب الاشهاري الذي يمنح هوية ويسعى للحصول على لذة عبر سراب أو وهم الحرية، فالخطاب المتطرف يشيد بالانتماء ويحث ويحرض على السعادة عبر وهم الحاجة)[١].

وبشيء من الاستعراض للتاريخ البشري نصل الى أن انحراف وتأويل التصورات العقدية والفكرية كانت وراء كل المظاهر الإرهابية-الفكرية منها وغير الفكرية التي عانى منها الانسان، ومازال يعاني منها حتى يومنا هذا.

وهذا ما وجدناه في الفكر المنحرف للجماعات الإرهابية التي تأولت في كثير من قضايا الدين، وبناءً على ذلك جعلت من الإرهاب الفكري مقصداً شرعياً تسعى للتمكين له، وحمل الناس عليه قهراً من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنتجت كماً هائلاً من التراث الفكري المُبشر بمعتقداتها، والمسفهة لمعتقدات مخالفيها، سيراً على نهج التضليل الفكري، باعتبار ذلك تمهيداً للإرهاب الفكري.

---

[١] نحو مقاربة علمية لظاهرة التطرف، قراءة في كتاب سيميائيات الأصولية الدينية، خطاباتها، بلاغتها، قوتها الإقناعية: عبد الرحمن النواتي، ص١٥.

وبمثل ذلك وجدنا تصورات الخوارج التي سفكت الدم الحرام وخرجت بإرهاب فكري في غاية الوضح والتطرف، وسعت الى حيازة السلطان

وبمثل ذلك وجدنا تصورات الخوارج التي سفكت الدم الحرام وخرجت بإرهاب فكري في غاية الوضوح والتطرف، وسعت الى حيازة السلطان لإكراه الناس على ما تراه ديناً.

وكذلك إذا ما استعرضنا تاريخنا المعاصر نجد العلة ذاتها في النازيين الذين جاسوا الديار فساداً بتصورات وتأويلات فاسدة عن عظمة العرق الآري وتفوقه على الآخرين، موجهين آلتهم التوجيهية والتعبوية الى تعميق التصورات المنحرفة في أنفس الألمان الذين قالوا وقتها: منْ أفضل منّا عرقاً، وأشد قوة، حتى كان ما كان من حرب مدمرة.

ولم يترددوا من أن يصفوا بالإرهاب الشعوب التي قاومت عدوانهم كالشعب الفرنسي الذي ثار ضدهم، وماهذا بمقصور عليهم، بل نجده في كل تصور منحرف من الاتجاهات الدينية والفكرية التي تجعل من رؤيتها الحق المطلق الذي لا حياة إلاّ لمن انقاد لها وآمن بها.

وعلى نحو اشد انحرافاً وغلواً وإرهاباً تنظر العقلية الصهيونية لتصورات أكثر تطرفاً في أطر الذات وتفوقها العرقي، وتميّزها القومي، وتعمل على ترسيخ هذه الضلالات والتصورات المنحرفة من خلال الوسائط الإعلامية والتربوية في المدارس والجامعات[١].

ولذلك فإن التديُّن الأيديولوجي المفروض بقوة الوراثة الأبوية يمنع كل قراءة للنص الديني تخالف قراءته اللاتاريخية ويفرض على أتباعه ممارسة الإرهاب على الذات قبل الآخر المختلف فتحقير الذات وكرهها لعدم القدرة على القيام بالواجبات الدينية على أكمل وجه يولِّد كره وحقد

[١] الإرهاب الفكري، أشكاله وممارساته: د. جلال الدين محمد صالح، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض ٢٠٠٨م، ص١٠٩.

على الآخر المختلف ويدعو مع مرور الزمن إلى الانتقال من الإرهاب الرمزي (تشيء وأسطرة وشيطنة الآخر المختلف) إلى الإرهاب المادي كالذي يعيشه أجزاء العالم اليوم.

هكذا نرى أن التديُّن الأيديولوجي يعمق ويبرر ويشرعن الإرهاب الدِّيني أو الإرهاب باسم الدِّين، فالدِّين مع الأيديولوجية سجن والدِّين مع المعرفة فضاء.

ولا شك أن التديُّن الأيديولوجي يفرض تحديات خطيرة وكبيرة على العقل الحر ويضعه على محك الاختبار والقدرة على تجديد العدة المفاهيمية التي تحفر في طبقات الوعي واللاوعي وتعمل على أشكلة وتفكيك وتحليل هذه الظاهرة البشرية الشاذة.

وهذا التعدي هو الهدف الذي يسعى اليه الشيطان، إذ أن مجمل ما يريده تحقيق أحد الأمرين: الغلو أو التقصير.

ومن ذلك الغلو المتعلق بفقه النصوص وذلك بأحد أمرين:

الأول: تفسير النصوص تفسيراً يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية، فيشدد على نفسه وعلى الآخرين.

الثاني: تكلف التعمق في معاني التنزيل مالم يُكلف به المسلم (ومن طماح النفوس الى ما تُكلف به، نشأت الفرق كلها أو أكثرها)[1].

وقد يكون الغلو متعلقاً بالموقف من الآخرين، وذلك بأحد أمرين:

[1] الموافقات: الشاطبي ٢/١٢٣، وينظر، الجذور الدينية للإرهاب: د. اللويحق، ص٢٢.

الأول: أن يقف الانسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يُوصل ممدوحه سواءً أكان فرداً أم جماعة الى درجة العصمة فيجعله مصدر الحق، وإنما مصدر الحق هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أن يقف الانسان من بعض الناس أفراد أو جماعات موقف الذم الغالي، فيصم المسلم بالكفر والمروق من الدين، أو يصم المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع جاهلي.

وفي كل مظهر من مظاهر الغلو وأعماله تجد ملمحاً من هذه الملامح، كما أن الحوادث، وأعيان الوقائع تظهر أن وراء ما حدث جانب من جوانب الغلو، بل إن الحوادث وأعيان وقائع الغلو لا تكون إلاّ وقد سبق فكر ورأي وغلو نظري، فالذين قاموا بالتفجيرات مثلاً، كفّروا قبل أن يفجّروا[١].

ولذلك فإن وكلاء الفتاوى الدينية، والجماعات الدينية المتطرفة يختطفون الإسلام، ويقدمونه على نحو منفّر، ولا يقترحون أي تعبير حضاري لروح الدين بما هو منظومة سامية تنظّم العلاقة بين الكائن وخالقه، أو بين الأرض والسماء.

فهؤلاء باعتمادهم على طاقة التأويل السلبية يتعاملون مع النص الديني بوصفه قماشة يفصّلون منها ما شاءوا من ثياب، يساعدهم في ذلك سيولة لا متناهية من ميراث الأسلاف الذين قدموا تصورات قارة لعلاقة الإنسان بالكون والوجود والمتعالي.

وعلى فتات هؤلاء، يقتات أنصار الجماعات الدينية الذين لا يرون العالم بكل تناقضاته وتركيباته إلا من زاوية الفسطاطيْن المعروفين: الخير والشر، أو دار الدنيا، ودار الآخرة، فتراهم لا

---

[١] الجذور الدينية للإرهاب: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٢١-٢٣ بتصرف شبكة الألوكة www. Alulkah.net.

يأبهون بالدار الأولى، ولا يسعون إلى بنائها، بل يندغمون في الولاء للدار الآخرة عبر تقويض منجز الحضارة، وإزهاق روح الإنسان، وتبديد طمأنينته، وتجفيف منابع سلواه.

إن إعمار الآخرة، في نظر هؤلاء، لا يقوم إلاّ على هدم الدنيا وخنق هوائها، وإزهاق نبضها[١].

ولهذا فإن الدوافع التي تقود الى ظهور الإرهاب بوصفها ظاهرة سلبية سياسية دينية، وهي مجموعة الظواهر التي يحاول الارهابيون أن يضعوا لها مبررات دينية من خلال استغلال وتأويل النصوص التي يعتقدون أنها تبرر أفعالهم واتجاههم الى هذا المنحى في التعامل في الأعداء كائناً من يكون هذا العدو، حتى لو كان من نفس الدين أو المذهب الواحد، وهي مبررات تنقضها كثير من الأدلة والبراهين المستقاة من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح[٢].

ويزداد خطر التطرف حين ينتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري، إلى طور الممارسة والتطرف السلوكي، الذي يعبر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل وتفجيرات وتصفيات واستخدام لوسائل العنف المادي المختلفة لتحقيق بعض الأهداف. وعادة ما يكون التطرف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاساً للتشبع بتطرف سابق في الفكر والقناعات والاعتقاد[٣].

---

(١) الجماعة الدينية والاكراه الأيديولوجي: موسى برهومة، موقع الحوار المتمدن، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، ديسمبر ٢٠١٣م، ص٣-٤ بتصرف.

(٢) مؤتمر الأسباب العالمية لبواعث الإرهاب: د. عصام ملكاوي، كلية العلوم الاستراتيجية-جامعة نايف للعلوم الأمنية ٢٠١٤م.

(٣) ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج: المحامي منتصر الزيات، ص٤. مؤتمر الأسباب العالمية لبواعث الإرهاب، وينظر من موقع الكاتب نفسه http://www.alzayat.com، ولمزيد من التفصيل ينظر، العلاقة بين التطرف الديني –الأيديولوجي والإرهاب: ادريس عمر: الحوار المتمدن، العدد ٣٣٠٠ في ٢٠١١/٣/٩م، ص٥ وما بعدها.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا في هذه الدراسة واحداً من أهم المنطلقات والأبعاد الفكرية للإرهاب، يُمكن أن نجمل أهم النتائج فيما يأتي:

- أن أبعاد الإرهاب متعددة ومتنوعة، بل ومتداخلة ومعقدة، فالظاهرة بحد ذاتها ظاهرة مركبة معقدة وأسبابها وأبعادها كثيرة ومتداخلة، وهي في نظرنا من أكثر الموضوعات خطورة وأثراً.

- يعدّ البُعد الفكري من أخطر الأبعاد التي ينطلق منها الإرهاب، علماً أن الإرهاب لا يقتصر على دين أو على ثقافة أو على هوية معينة، وإنما هو ظاهرة شاملة، يمكن أن تتجلى في مختلف الأديان والثقافات.

- يشكل التأويل المنحرف للنص الديني، والتضليل الفكري من أهم الجذور والمنطلقات الفكرية للجماعات الإرهابية في واقعنا المعاصر، ولذلك فإنهم يعارضون الحقائق بإيمانهم بالأوهام والظنون والتأويل والتضليل، وهكذا يرتكبون أبشع الجرائم باسم الدين.

- إن الفهم الخاطئ لنصوص الدين وأحكامه ومبادئه، يفضي الى الجنوح للغلو والتشدد في الدين، وبالتالي الى التطرف والعنف، حيث نتج عن ذلك ظهور مجموعة من الاتجاهات والتيارات يدعي كل منها امتلاكه للآليات والاستراتيجيات الصحيحة والمستقيمة لتأويل النص الديني، ومن ثم بسط السيطرة على المؤسسة الدينية وعلى حقولها الخطابية، فضلاً عن اعتقاد هذه الجماعات بأن أيديولوجيتها الفكرية أو عقيدتها الدينية التي تؤمن بها هي الحق المُطلق، وهي المذهب الوحيد الذي سيحقق "مدينة فاضلة" في بلدها تقوم على العدل الاجتماعي والسيادة الوطنية وتؤسس لنهضة حضارية شاملة.

وعلى فتات هؤلاء يقتات أنصار الجماعات الإرهابية الذين لا يرون العالم بكل تناقضاته وتركيباته إلاّ من زاوية الفسطاطين الخير أو الشر، أو دار الدنيا ودار الآخرة، وإن إعمار الآخرة في نظر هؤلاء، لا يقوم إلاّ على هدم الدنيا وخنق هوائها، وإزهاق نبضها.

- يتبيّن مما تقدم أن أهم الدوافع التي تقود الى ظهور الإرهاب بوصفها سلبية سياسية دينية هي مجموعة الظواهر التي يحاول الارهابيون أن يضعوا لها مبررات دينية من خلال استغلال وتأويل النصوص وتضليل الأفكار والعقول، بغية تبرير أفعالهم وتطرفهم في التعامل مع الأعداء كائناً من يكون، حتى ولو كان من نفس الدين أو المذهب الواحد.

المصادر والمراجع

(١) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

(٢) العلاقة بين التطرف الديني –الأيديولوجي والإرهاب: إدريس عمر، الحوار المتمدن، العدد ٣٣٠٠ في ٢٠١١/٣/٩م..

(٣) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف" دراسة تحليلية": د. أسماء بنت عبد العزيز الحسين، منشورات اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٤) الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، أبو الحسن علي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت،. ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

(٥) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، أحمد، الطبعة الأولى، دار الإفتاء، الرياض، ١٣٩٨هـ.

(٦) التعريفات: الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت. ١٤٠٥هـ.

(٧) الإرهاب الفكري: أشكاله وممارساته: د. جلال الدين محمد صالح، منشورات جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٨) (فلسفة التأويل) دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي: حامد أبو زيد، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٣ م.

(٩) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: الرازي، فخر الدين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(١٠) مختار الصحاح: الرازي، محمد، دار الكتب العلمية –بيروت.

(١١) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي، أبو إسحاق بن موسى الغرناطي، دار المعرفة، بيروت، لبنان(د.ت)، عني بضبطها الأستاذ عبد الله دراز.

(١٢) الجذور الدينية للإرهاب: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، موقع الألوكة.

(١٣) نحو مقاربة علمية لظاهرة التطرف، قراءة في كتاب ماسيمو ليوني: سيميائيات الأصولية الدينية: خطاباتها، بلاغتها، وقوتها الاقناعية، ترجمة وتقديم عبد الله بريمي، عبد الرحمن النوايتي: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٦م، عمان-الأردن.

(١٤) فصول في التفكير الموضوعي "منطلقات ومواقف": د. عبد الكريم البكار، ط٧، دار القلم، دمشق ٢٠١٣م.

(١٥) الخطاب الديني والتحولات الإبستمولوجية لفعل التأويل في الفكر المسيحي والإسلامي: عبد اللطيف البدادي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

(١٦) مؤتمر الأسباب العالمية لبواعث الإرهاب: عصام ملكاوي، كلية العلوم الاستراتيجية-جامعة نايف للعلوم الأمنية ٢٠١٤م.

(١٧) الإرهاب: الفهم المفروض للإرهاب المرفوض: علي بن فايز الجحني، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(١٨) فضائح الباطنية: الغزالي، أبو حامد، الطبعة الأولى، دار البشير-عمان، الأردن، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(١٩) الإرهاب بين الفرض والرفض في ميزان الإسلام: الفرماوي عبد الحي، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢٠) لمحات عن الإرهاب في العصر الحاضر: فهد بن إبراهيم أبو العصاري، موقع حملة السكينة.

(٢١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

(٢٢) إعلام الموقعين: ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٧٤هـ.١٩٥٥م.

(٢٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم الجوزية، محمد، طبعة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والرياض.

(٢٤) مجلة اليمامة، العدد ١٧٩٠، السبت ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٤هـ.

(٢٥) خطاب الى الغرب، مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، رؤية من السعودية، ط١، غيناء للنشر، الرياض ١٤٢٤هـ.

(٢٦) أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة هاشم صالح: محمد أركون، دار الساقي، ط٢، بيروت ١٩٩٥م.

(٢٧) الانحراف الفكري وانقسام الأمة: محمد عبد اللطيف، موقع النور للدراسات، ٢٠١٣/١/٢٨م.

(٢٨) في مفهومي القراءة والتأويل: محمد متقن، مجلة عالم الفكر، المجلد ٣٣ أكتوبر ٢٠٠٤م.

(٢٩) الإرهاب: المفهوم والأسباب وسبل العلاج، محمد الهواري: منشورات اللجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٣٠) إيثار الحق على الخلق: ابن المرتضى أبي عبد الله محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠ هـ.

(٣١) ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج: المحامي منتصر الزيات، من موقع الكاتب نفسه .http://www.alzayat.com

(٣٢) لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

(٣٣) الجماعة الدينية والاكراه الأيديولوجي: موسى برهومة، موقع الحوار المتمدن، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة، ديسمبر ٢٠١٣م.

(٣٤) المستصفى: الغزالي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤١٣هـ.

(٣٥) مقالات الإسلاميين: الأشعري، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.